الآثار الاجتماعية للتوحيد من خلال مقاربة إسماعيل الفاروقي

د. عبد الجليل بن سالم /جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية / قسنطينة

تلخيص:

يعد التوحيد لب الدين والحياة فلا شك أنه دعوة الأنبياء ورسالتهم الخالدة من عند الله عز وجل، التي دعت إلى تغير واقع الحياة إلى الأحسن، لذلك كان خطاب الأنبياء يتدرج في توضيح معنى التوحيد من نبي إلى نبي حسب طبيعة كل قوم، ومدى استعداد فكرهم لقبول المعاني وجلاء المقاصد والآثار التي تنبع من مفهوم التوحيد، الذي يدعو إلى حمل أمانة الله في هذه الأرض، والمحافظة عليها وإعمال القراءتين للوصول إلى تحقيق معنى تكريم الإنسان ومنحه العقل الذي يكسبه أنماطا جديدة في واقع الحياة.

Abstract

The monotheism (*Tawhiid*) is considered a core of religion and life, that is why it is the eternal message of all prophets from Allah Almighty, the message which calls for change of life for the better. It is clear that the forms of speech delivered by the Prophets in clarifying the concept of monotheism (*Tawhiid*) were different and various, according to the nature of their people, their qualification and readiness to receive the comprehensive concept, meaning and effects of monotheism (Tawhiid), the (Tawhiid) that calls people to carry God s trust and fulfill the mission on this earth through the

continuous readying in order to achieve the human being honoring, and to use the mind which enables them to well understand monotheism (*Tawhiid*) and apply in it in real life.

مدخل:

تعاني مجتمعاتنا العربية والإسلامية من تجسيد مفهوم التوحيد ،الذي كان عماد دعوة الأنبياء لمناهضة الفساد، والدعوة إلى تنظيم المجتمع عن طريق سن الشرائع وإشاعة النماذج الأخلاقية الرفيعة، لذلك جاءت دعوتهم منظمة لواقع الحياة ومغيرة للنفوس ومطالبة بتحقيق معنى العبودية لله وتحقيق آثار التوحيد الاجتماعية التي تتساوق مع كرامة الإنسان التي أرادها الله سبحانه لعباده، الأمر الذي استدعى كبار المصلحين والمفكرين مشرقا ومغربا العكوف على استجلاء الآثار الاجتماعية التي تسعى البشرية إلى تحقيق ذروة مقاصدها.

ويعد الفاروقي واحد من بين أبرز أساطين الفكر وخيرة العقول في القرن العشرين فقد ذاع صيته مشرقا ومغربا، بسبب جرأته الفكرية ومحاولته الإسهام في نقل الأمة الإسلامية من وضعها المأزوم إلى المأمول الذي يريده كل مسلم ينتمي إلى هذه الجغرافية الفسيحة ويمتلك أرومة الأصل والمصير، ومن خلال المقال سأجيب عن السؤال الرئيسي الآتي: كيف يسهم التوحيد في بناء المجتمع حسب المقاربة الفاروقية؟ ويندرج تحت هذا السؤال أسئلة فرعيه مفادها:

أولا من هو المفكر الفلسطيني الفاروقي؟

ثانيا: ما هي أدوار التوحيد اجتماعيا؟

ثالثا: كيف تتجسد الآثار الاجتماعية للتوحيد؟

أولا: ترجمة موجزة من هو الفاروقي؟

ولد المفكر والباحث في الأديان الفلسطيني إسماعيل راجي الفاروقي بيافا في فلسطين (1921م) وقد درس في جامعات عريقة على غرار الجامعة الأمريكية ببيروت ثم حصل على الدكتوراه من جامعة إنديانا في عام 1952م، وله سجل حافل فقد وهبه الله عمرا عريضا مليئا بالإنجازات، وقد ساهم في تأسيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن عام 1981م وترأسه حتى وفاته سنة 1986م على يد اليهود، بيد أن حبر العالم أقوى من يد الغادر إذ شكل زادا على طريق العلم والحق.[1]

وقد ترك الفاروقي مؤلفات كتب الكثير منها باللغة الإنجليزية ومنها:[2]

-التوحيد ومقتضياته في الفكر والحياة.

-أطلس الحضارة الإسلامية بالتعاون مع زوجه لويس لمياء.

-الأطلس التاريخي لأديان العالم.

-الأخلاق المسيحية.

-الإسلام والديانات الأخرى.

-الديانات الآسيوية بالاشتراك.

ثانيا: الدور الاجتماعي للتوحيد

فقد تتبيّن فاعلية هذا الأصل العقديّ على نحو أفضل. فلو ساد التوحيد القويم بين الناس لانبسطت آثاره الاجتماعية في كلّ شيء، ولو غاب لظهرت تبعات هذا الغياب واضحة في كلّ شيء، ولنأخذ المجتمعات التي تلقلق بالتوحيد بألسنتها بينما هي منفصلة عنه عملياً، وننظر ما الذي تنزله بالبشرية من دواهٍ وخُطوب!

إنّ واقع المسلمين وهو يشهد غياب التوحيد عملياً ليس أفضل من واقع بقية المجتمعات؛ لهذا نشطت منهجيات حديثة من أوّل هذا القرن وحتّى قبل ذلك أيضاً

راحت تدعو إلى استكناه المدلولات الاجتماعية للتوحيد في حياة المسلمين[3] ، وكمؤشّرات سريعة نلحظ رسالة الأفغاني في "الردّ على الدهريين" التي جمع فيها السيد جمال الدين الأفغاني (1254هـ . 1314هـ) المنطق الاجتماعي إلى جوار المنطق الفلسفي. فقد تحدّث عن أنّ المادّية أو الدهرية تنتهي بالضرورة إلى "إفساد الهيئة الاجتماعية وتزعزع أركان المدنية"[4].

وسعى الشيخ محمد عبده (1265 هـ، 1323 هـ) . في كتابه الشهير "رسالة التوحيد" . أن يقرأ التوحيد توحيداً للمجتمع وأخوّة بين أفراده في مقابل الشرك الذي رأى فيه الفرقة والتمزّق الاجتماعي[5].

وعلى المنوال نفسه سار محمد إقبال (1873م . 1938م) في مناشدته المسلم أن يتحرّى الروح الاجتماعية للتوحيد متمثّلة في "المساواة والإتّحاد والحرية[6].

أمّا مالك بن نبيّ (1905م . 1973م) فهو يسجّل في نصّ نافذ، قوله: "إنَّ مشكلتنا ليست في أن «نبرهن» للمسلم على وجود الله، بقدر ما هي في أن نشعره بوجوده ونملأ به نفسه باعتباره مصدراً"[7] ، وذلك في إشارة نقدية إلى غياب التأثير النفسي والاجتماعي لمبدأ التوحيد الكلامي.

أمّا مع مطلع الثمانينيات فقد تصدى عدد من العلماء والمفكّرين للحديث بكثافة عن المدلولات الاجتماعية للتوحيد، ربما كان من المناسب أن نشير منها إلى كتابات الشهيد محمد باقر الصدر (1980م) الذي كتب يقول نصاً: "إنّ أصول الدين الخمسة التي تمثّل على الصعيد العقائدي جوهر الإسلام والمحتوى الأساسي لرسالة السماء هي في نفس الوقت تمثّل بأوجهها الاجتماعية على صعيد الثورة الاجتماعية التي قادها الأنبياء الصورة المتكاملة لأسس هذه الثورة"[8].

وعن التوحيد قال: " فالتوحيد يعني اجتماعياً أنّ المالك هو الله دون غيره من الآلهة المزيّفة"[9] وعلى هذا المنوال راح يتقصّى الآثار الاجتماعية للتوحيد.

ويصور سيد قطب التلازم الوثيق بين التوحيد وطبيعة النظام الاجتماعي تلازما لا ينفصل إذ يقول:"إن هناك ما هو أكثر من التلازم هناك الانبثاق الذاتي، فالنظام الاجتماعي هو فرع عن التفسير الشامل لهذا الوجود، ولمركز الإنسان ووظيفته، وغاية وجوده الإنساني، وكل نظام اجتماعي لا يقوم على أساس هذا التفسير هو نظام مصطنع لا يعيش، وإذا عاش فترة شقي به الإنسان ووقع التصادم بينه وبين الفطرة الإنسانية حتما فهي ضرورة تنظيمية كما أنها ضرورة شعورية[10] كما نجد مفكرا مبرزا وهو فريد الأنصاري يقول عن فحوى قضية التوحيد "نرى أن قضية التوحيد والعبودية لله التي كانت هم الرسالات السماوية تاريخيا وكانت ميدان الصراع الحقيقي لما يترتب عليها من آثار على مستوى الفرد والمجتمع، والأمة والدولة أصبحت في مراحل الجمود، والتخلف، والتقليد، مجرد شعار يصعب تمييز الذي يرفعه كثيرا عن غيره الذي لا يؤمن به"[11] ويقول في سياق آخر عن شهادة لا إله إلا الله: "لذلك كان الناطق بها المدرك لأبعادها ومدلولاتها، تتغير مفاهيمه كما يتغير سلوكه وعلاقاته، ويعيش ثمراتها في النفس والمجتمع"[12].

ثالثا: مدلول التوحيد وأثره الاجتماعي عند إسماعيل الفاروقي

إن التطور الفكري[13] ضرورة ملحة لا بد منه في تجديد واقع حياة الإنسان والإرتقاء به على الدوام حيث إن الأفعال الإنسانية يتحكم بسيرها ما استقر في نفوسها من مخزون فكري، وهو ما يعتبر المبدأ الأساس المفعل لها، والضابط لتصرفاتها، وجعلها محكمة قدر الإمكان، ومحققة لغاياتها وأهدافها فكلما كانت المبادئ الفكرية راسخة وشاملة كلما كانت هي الأقدر على تطوير الحياة الإنسانية

ومواجهة مشكلاتها دون استمرار لآثارها السلبية أو الحد منها لأدنى مستوى ممكن ،وقد أكد هذه الحقيقة فيلسوف العلم والاجتماع لندبرغ قائلا: متطلبات الناس ورغباتهم تتغير بتبدل الظروف عبر الزمن ،أما قيمة المعرفة العلمية فتظل مستمدة من حيادها وتجردها وثبوتها مهما كان القصد من استعمالها[14].

ومن الأنظمة الفكرية التي اعتنت بتنظيم شؤون الحياة كلها على اختلاف تغيراتها النظام الفكري الإسلامي والذي يعتبر علم التوحيد أحد أركانه الرئيسة ،فالتوحيد يحتوي على عقائد إيمانية يسهل على العقل والنفس معا تقبلها من غير إثارة إشكالات اتجاهها، فعلى سبيل المثال فإن التوحيد في الإسلام يقوم على فكرة الوحدانية ونفي التعدد في الإلوهية رفضا تاما ونفي كون الإله مادة من جنس مخلوقاته وهو ما افتقرت إليه أغلب العقائد الأخرى مما جعلها تواجه استشكالات مازالت تواجهها من غير أن يجد أصحابها حلولا مقنعة لها ،وعلماء المسلمين على مر الزمان قرروا عقائد علم التوحيد وفق إملاء متطلبات كل زمان وأهله من المسلمين وغير المسلمين، وتأثرت صياغته بالمدرسة التي ينتسب إليها العالم، وبالتالي أدى إلى ظهور علم التوحيد بصور ومناهج متعددة زادت من صعوبة تلقي علم التوحيد وصار علما جدليا داخل البيئة الفكرية الإسلامية أكثر منه مع خارجها، وأصبحت ترجمته في السلوك الأخلاقي لدى غالب المسلمين ضعيفة، مما دعت الحاجة إلى النظر في علم التوحيد برؤية جديدة تعيد الانتماء له إلى وضعة الأصلي، وهو مما ساهم في إثرائه المفكر إسماعيل الفاروقي – رحمه الله – من خلال كتاب التوحيد واختط فيه الفاروقي منهجا فريدا صاغ فيه المفهمة التوحيدية صياغة تجديدية سأجملها فيما يأتي:

أولا: ربط الفكر العقدي بمضامين الحياة هو أمر جوهري لا عرضي، فالبحث العقدي في الفكر الإسلامي ولعقود طويلة كان ولا يزال يبحث في المسائل العقدية المتعلقة بالذات الإلهية كوجوده تعالى وصفاته وأفعاله وما يتعلق بالأنبياء والسمعيات دون البحث في آثارها ونتاجاتها على الفرد والمجتمع المسلم وغير المسلم[15] على اعتبار أن البحث في الآثار العقدية هو أمر عرضي لا جوهري عند علماء التوحيد أو علماء الكلام ،ونجد بعض علماء الكلام من يعرفه بقوله[16]: "علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه"، وبالتمعن في هذا التعريف يتوصل إلى أن علم التوحيد والعقيدة ،والكلام والفلسفة الإسلامية كلها تندرج في هذا التعريف ،لما يجمعها جميعا البحث في العقائد الدينية إثباتا ودفاعا على حد سواء.

وهنا لا يلتفت إلى موقف الآخر من قبول أو عدم قبول مسمى علم الكلام لهذا التعريف ولما حاول بعض علماء العقيدة ربط الموضوعات العقدية بمضامين الحياة جاء الربط عند بعضهم مقتصرا على ما جاءت الشريعة به من إطلاق مسمى الإيمان على بعض الممارسات الأخلاقية، ويظهر ذلك واضحا من عنونة مصنفاتهم بشعب الإيمان ،كشعب الإيمان للبيهقي والحليمي. ولما سبق ،فإن بعض علماء التصوف أسندوا لأنفسهم تغطية جانب البحث في آثار العقيدة على السلوك الإنساني ،وذلك بقصرهم ربط بعض المفاهيم العقدية في السلوك الأخلاقي الفردي، كربط مفهوم الإيمان بوجود الله تعالى والخوف منه باجتناب المعاصي والإقبال عليه[17].

لقد جاء دور إسماعيل الفاروقي في تطويره لعلم التوحيد بإظهاره العلاقة الشمولية بينه وبين أغلب مضامين الفكر والحياة[18] التي عرفتها البشرية ،وخصص لذلك

مؤلفا أسماه (التوحيد مضامينه على الفكر والحياة)، وعلى سبيل المثال لا الحصر عنون الفاروقي الفصل الأول من الكتاب "التوحيد جوهر الخبرة الدينية"[19] ، تناول الفاروقي فيه أثر الخلاف لمفهوم فكري عقدي بين الفلاسفة والمتكلمين وهو عملية الخلق الإلهي ،وقد لمس فيه الفاروقي أثر المفهوم على واقع الحياة الإسلامية ،من جملة ذلك أن الفاروقي رأى في قول الفلاسفة إن الله تعالى علة تامة للمعلولات (المخلوقات) يؤدي في النهاية إلى الشعور بالاستغناء عن الدور الإلهي في الكون، في حين رأى الفاروقي ما ارتآه المتكلمون من نفي كون الله علة تامة وأن الله تعالى فاعل في الكون بإرادته ضمن أسباب طبيعية داخلة في النظام الكوني عمل تعالى بنفسه على إيجادها، وأن الله تعالى يتدخل على الدوام في عملية الخلق كرقيب عليه ومصدر للتوازن فيه حتى لا يضطرب، وأن ما من سبب إلا ويعود لسبب وهكذا الأمر على الدوام إلى أن تنتهي سلسلة الأسباب إلى الله عزّ وجل، ويرى الفاروقي إن كل ذلك إذا ما تفاعل معه المسلم تفاعلا حقيقيا بمداومة الشعور به فإنه يحقق آثارا ايجابية في حياته، منها:

أولا: إرضاء الشعور الديني لدى المسلمين ،لكونه أكثر مطابقة للنصوص الشرعية وشعور المسلم بوجود مقيم وقيمة للمخلوقات لأنها متزنة وتعمل معا محققة غايات وجودها، فما من أمر إلهي أوجب الله تعالى فعله أو تركه فالمسلم يدرك أن تنفيذه يعمل على تحقيق الصواب المحافظ على الاتزان الكوني وبالتالي تجنيب المخلوقات ما يؤدي إلى إفسادها ،فنحن إذن أمام أساس معياري يتمثل بالإرادة الإلهية النافذة في المخلوقات، للإنسان هنا دور عظيم في تفعيل هذا الأساس وقطف ثماره الإيجابية.

ثانيا: بارتباط سلسلة الأسباب بالمسبب الحقيقي لها يشعر المسلم أن المخلوقات تسعى في أفعالها نحو غاية واحدة (الله تعالى)، وهي أرقى الغايات نبلا وأعلاها قيمة وهذا بدوره يوجد صلة حقيقية بين الإنسان وخالقه.

ومن الأمثلة الأخرى التي اعتبر فيها الفاروقي مضامين الحياة من جوهر علم التوحيد جعله التوحيد الركيزة الأساسية لمبدأ النظام الاجتماعي ومن جملة أقواله في ذلك : "الإسلام فريد في بعده الاجتماعي بشكل مطلق بين كل ما عرفه العالم من أديان وحضارات "[20] وهو يرى أن الدليل على إثبات صحة هذه المقولة متحقق من خلال رؤية الإسلام للنظام الاجتماعي أنه "الغاية العليا للإسلام في الحياة الدنيا بزمانها ومكانها "[21]

إن إدراج الفاروقي أثر المفاهيم العقدية في الدرس العقدي يعد إضافة نوعية لا بد منها في عصرنا الحاضر، فالعلوم لا ترقى للمصداقية الحقيقية إلا إذا كان لها تطبيقات واقعية، والفاروقي أثبت ذلك من خلال ربطه بين المفهوم العقدي لكلمة التوحيد وبين تطبيقاتها العملية.

ثالثا: التجديد في الدرس العقدي.

التجديد الذي أظهره الفاروقي في درس علم التوحيد هو جعله يقوم على محور مركزي مكون من المفهوم العقدي وأثره الفعلي ، "فالإنسان صاحب رسالة كونية لكونه خليفة أصيلا لتطبيق الأمر التكليفي الإلهي في الأرض بوصفه الشق الأسمى من الإرادة الإلهية"[22] ولعل الفاروقي يدعونا هنا إلى تجديد طريقة التفكير في الدرس العقدي ،فخلو الدرس العقدي لكثير من مباحثه من الأثر العملي جعله على الدوام منتقدا ،فالذين ينتقدونه بعد دراستهم له لسان حالهم يقول: لا نجد في درس إثبات وجود الله تعالى ،ولا في مبحث الصفات الإلهية وغيرهما إلا المناقشات

النظرية بين مختلف الآراء ،وكأن الباحثين لها عندهم قوة عقلية أفرغوها في هذه المناقشات، وهي بالتالي مظهر من مظاهر الترف الفكري ،دائرته ضيقة ومحصورة فيما بينهم.

فالفاروقي في خطوته الأولى هذه التي شقها نحو التجديد نجد أن المنطلق الحديث يؤكدها فهاهو أنطوان أرنولد يقول: " خواص الفكر قد تكون لها استعمالات منحصرة ومحدودة، لكن دقة العقل تفيد بوجه عام جميع تصرفاتنا في الحياة ومشاغلها وفي سائر أنواع السلوك في هذه الحياة"[23].

رابعا: الأخلاق تشخص الأفكار العقدية.

من الملاحظ على الفاروقي في كتابه التوحيد مضامين الفكر والحياة إصراره الحثيث على الربط بين المفاهيم العقدية لكلمة التوحيد وبين تجسيدها أخلاقيا من خلال الممارسات السلوكية للمسلم وإن كان مثل هذا الربط مسبوقا به لدى الصوفية إلا أن الفاروقي أضاف إليه إضافة نوعية فارقة ألا وهي أن الفكر العقدي حينما يتجسد في كل مضامين الحياة الفردية والاجتماعية على حد سواء يكون له تدخلا مباشرا في تحديد السلوك الناجح في كل الممارسات الإنسانية التي ترسم الحضارة الإنسانية المثالية كغاية يسعى إليها البشر [24].

والفاروقي يرى في الاستخلاف الإلهي للإنسان التمثيل الحقيقي للحضارة الإنسانية المثالية وذلك لا يكون إلا بتجسيد قيم التوحيد الأخلاقية من قبل الإنسان، ويعبر عن ذلك بقوله: "فمبرر وجود الإنسان هو طاعة الله ،وتنفيذ أمره ،ويؤكد التوحيد أن جوهر هذه الغاية هو استخلاف الله تعالى للإنسان في الأرض ،وبمقتضى الاستخلاف حمل الله تعالى الإنسان الأمانة وفحوى هذه الأمانة الإلهية هي الوفاء بالشق الأخلاقي من المشيئة الإلهية "[25].

إن "باوردي" بعد بحثه الفلسفي الاجتماعي العميق لحقيقة المشكلة الأخلاقية والفكر المعاصر يقرر أن منتجات العلم الحديث عاجزة عن تحقيق منظومة أخلاقية علمية تعتمد العقل وحده في معالجة منتجات الحياة المدنية الغربية الحديثة ،فيقول معبرا عن ذلك :"إن المشكلة الخالدة الخاصة بين العقل والمعرفة–والتي تعد على الخصوص مشكلة عصرنا–يبدو أنها دخلت في طور جديد فالأزمة المعنوية التي تكافح فيها مدنيتنا الغربية منذ ثلاثة قرون إنما هي أزمة خلقية ،فإن المفكرين الأحرار يتفقون في يسر مع الدجماطيقية القديمة لكي يشككوا في إمكان بناء نظرية للسلوك عن طريق العقل وحده ،ويعللون ذلك بأن كل القواعد تعتبر خاضعة لشروط متغيرة بتغير الزمن والبيئة بل إنها في جوهرها تحكمية خالصة ،ولا سند لها إلا إرادة من يفرضها ومن يقبلها ،وينجم عن هذا أننا نشعر جميعا أكثر من ذي قبل بالحاجة إلى سلطة ما وإلى قاعدة خارجية وإلى مبادئ بالضبط موضوعية [26]".

فالنتيجة التي توصل لها (باوردي) هي عينها التي ناضل من أجلها الفاروقي في كتابه: التوحيد ولو أردنا أن نأتي بمثال أكد فيه الفاروقي فكرة تجسيد الفكر العقدي أخلاقيا لكفانا تمثيله العلاقة بين التوحيد ومضمون الحياة الاقتصادي الإسلامي فمبدأ التوحيد حاضر بقوة فيه ،حيث إن فكرة مشاركة الفقير للغني بماله من خلال ما يستحقه من زكاة وغيرها من الصدقات العامة فكرة مغايرة تماما لكل الأنظمة الاقتصادية الحديثة ،فمشاركة الفقير للغني في هذه الأنظمة ملغية تماما إلا بدافع شخصي أحادي الجانب، في حين نجد أن دفع الزكاة لا يمكن أن يكون نابعا إلا من الإيمان المطلق عند المسلمين بالتوحيد، فالتوحيد هو الحافز الرئيس لمثل هذا السلوك الأخلاقي، خاصة وأن دافع الزكاة يعلم مسبقا أن دفعه للمال سيكون من

غير مقابل نفعي يلتزم به الفقير تجاه الغني فلا حافز لدى دافع الزكاة إلا إيمانه المطلق بالله تعالى واستحقاق رضاه والفوز بالجنة ،وهي محفزات أخلاقية موضوعة مسبقا من قبل إله كامل الإلوهية، فهي إذن أسمى من القيم الوضعية"[27] وقد دعا ذلك الفاروقي إلى أن يتبنى بقوة ما قاله محمد إقبال من أن "العمل الاقتصادي هو الآخر تعبير عن روحانية الإسلام "[28].

خامسا: إبراز المقاصدية العقدية السامية للأفكار.

فما من فكرة إلا ولها مقصد أو مقاصد ترجو تحقيقها، والاعتناء بأحدهما على حساب الآخر كعملة لها وجه واحد فقط، والله تعالى قرر هذه الحقيقة في القرآن الكريم بقوله: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)[29] ، فالقول بمثابة الفكرة أو والفعل بمثابة المقصد والآية هنا عامة في أي قول وأي فعل ، إلا أن الممارسة الإسلامية على مدار التاريخ الإسلامي أشعرت كثيرا من المسلمين أن الآية خاصة فقط بالممارسة الفقهية والسلوك الأخلاقي دون غيرهما ،وهو ما أدى إلى استثناء الممارسة العقدية منها بالرغم من دخولها في سياق عموم الآية، وما يدل على هذا الدخول قول الله تعالى: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون)[30] ، ويؤكده قول النبي صلى الله عليه وسلم: "قل آمنت بالله ثم استقم"[31] فالآية والحديث أوضحتا الفكرة وهي الإيمان ،وأوضحتا عقيبها على الفور المقصد الأسنى منها وهو الاستقامة المترجمة لمضمون الفكرة على أرض الواقع .[32]

والفاروقي بإبرازه هذا النوع من المقاصد أمكنه تطوير صياغة الفكر العقدي الإسلامي، خاصة وأن حال الأمة الإسلامية في أيامنا هذه بأمس الحاجة لتفعيل

دور المقاصد العقدية ،ولعل السبب الرئيس لتفعيل هذا الدور يرجع للعلاقة المتينة بين المقاصد العقدية ووجود التربية الفعالة للفرد والمجتمع ،فكلما كانت المقاصد العقدية سامية ومثالية كلما كانت التربية فعالة أكثر في نتاجها الخيري ويرى الفاروقي أيضا أن التوحيد لا يكون منتجا أهدافه إلا إذا كان مفعلا ضمن منظومة اجتماعية عاملة، أطلق عليها (مأسسة الاجتماع الأمتي)، وهو يرى أن هذه المؤسسة غير متحققة لغاية الآن في المجتمع المسلم، وقد اقترح وسيلة تربوية ضمناها الفصل الثالث.

سادسا: توظيف الآراء العقدية المختلفة.

وظف الفاروقي آراء عقدية تخص أصحابها ممن ينتمون لبعض الفرق الإسلامية العقدية والكلامية والفلسفية وجاء توظيفه لها بحسب ملائمة كل رأي مع المضمون الحياتي المناسب له إذ يجد القارئ لكتاب التوحيد تفعيل الفاروقي لآراء المتكلمين (الأشاعرة والمعتزلة) في مسألة الخلق وترجيحها على قول الفلاسفة الإسلاميين[33] ، ويجد كذلك توظيفه لرأي المعتزلة في أن الإرادة الإنسانية غير داخلة في قوله تعالى: (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)[34][35] ، ويوظف رأي محمد بن عبد الوهاب في إبطال التعلق بالخرافات والأساطير لمنافاتها للتوحيد[36] ، ويوافق الصوفية في أطروحتهم (الصوفية المجتمعية)[37] ويؤيد ما توصلت إليه الفلسفة الحديثة من انتفاء الحتمية بين الأسباب انطلاقا من نسبية أنشتاين[38] وهو في صنيعه هذا يحقق نوعا من التطور الفكري العقدي الذي طال انتظاره، متخذا عدة سمات، من أهمها:

– التحرر من القيود المذهبية، فإذا رأى صاحب الفكر رأيا عقديا أكثر ملائمة من غيره في فهم النص العقدي الشرعي فمعنى ذلك أن هذا الفهم هو الأقرب عنده لقناعة النفس البشرية به أكثر من غيره .

– تحقيق أقوى نتائج الرأي العقدي على أرض الواقع، فهذا هو المقصد الأسمى له، وهو يشعر المسلم بأثره المستمر على مجرى حياته اليومية بما يخصه كفرد مع ربه، ومجتمعه، ومحيطه، الطبيعي الزماني والمكاني.

– تخفيف حدة النزاعات الجدلية بين أصحاب الفكر العقدي المتخالفة ،فحينما يرى أتباع المدارس العقدية المتخالفة كبار المفكرين المعاصرين يوظفون رأيا من هنا ورأيا من هناك في تطوير عجلة الحياة الإسلامية –لا تحت تأثير سلطة سياسية فإن تقبل الآخر يزداد شيئا فشيئا، وهو ما يجعل أيضا الفجوة والجفوة بينهم تتناقص شيئا فشيئا.

خاتمة:

سعى الفاروقي إلى إبراز الدور الاجتماعي للتوحيد ووضع تفسيرات جديدة تمكننا من السعي بمجتمعاتنا نحو التقدم العلمي والفكري، ومجددا في اللغة والطريقة والمنهج الذي سلكه علماء الكلام في الذب عن عقيدة الإسلام، مركزا على الجانب الاجتماعي الذي يمس كل أطراف المجتمع، الذي أسماه بالمجتمع الأمتي الذي يتجه في خططه ومشاريعه إلى ما يخدم الأمة، وبالتالي إقصاء الفهوم السلبية مثل الانعزال والقطيعة مع غير المسلم، خاصة وأن المسلم يمتلك عقيدة صلبة تحتاج إلى تفعيل في واقع الحياة، ولن يتأتى ذلك إلا بفهم مدلول التوحيد اجتماعيا والإجابة عن تساؤلات العصر، دون إغفال للجانب الأخلاقي الذي يرتكز عليه التوحيد باعتبار أن عبادة الله وحده تمثل أعلى صورة أخلاقية بها يؤدي الإنسان مهمته التي أوكلت

إليه، وهي الاستخلاف والعمل من أجل المحافظة على صلاح الأرض وتعميرها بالنفع للإنسانية.

الهوامش:

1-هشام الطالب، مقدمة كتاب إسماعيل الفاروقي ولويس لمياء الفاروقي، أطلس الحضارة الإسلامية، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، [الرياض، مكتبة العبيكان، ط1، 1419هـ - 1998م]، 4

2-المصدر نفسه5

3- ينظر كمصدر مهم في رصد هذه التحولات: فهمي جدعان، أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، [بيروت ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 2، 1981م]، فصل التوحيد المحرر.

4- جمال الدين الأفغاني، رسالة الردّ على الدهريين، منشورة في كتاب: الثائر الإسلامي جمال الدين الأفغاني، بقلم الشيخ محمد عبده، سلسلة كتاب الهلال، ص 33.

5- عطية سلمان أبو عاذرة، مشكلة الوجود والمعرفة في الفكر الإسلامي الحديث عند كل من الإمام محمد عبده ومحمد إقبال، [بيروت، دار الحداثة، 1985]، ص113 وما بعدها.

6- محمد إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ، ترجمة :محمود عباس، ص 178.

7- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص 55.

6- محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة ،[إيران، طبعة وزارة الإرشاد، دت]، ص 38.

7- المصدر السابق، ص 34.

8- سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي، [دار الشروق، ط12، 1413هـ-1992م]، ص 23.

9- فريد الأنصاري، [قطر، مجلة الأمة، العدد: 47، ط1، 1416هـ/ 1995م]، ص 26.

10- المصدر السابق، ص26 .

11- عيسى ربيح جوابرة ، التطور الفكري العقدي الإسلامي المعاصر إسماعيل الفاروقي أنموذجا، ورقة عمل لمؤتمر دولي علمي بعنوان إسماعيل الفاروقي وإسهاماته في الإصلاح الفكري الإسلامي

المعاصر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالتعاون مع جامعة اليرموك وجامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن، 1432هـ-2011م ص1.

12- لندبرغ جورج، هل ينقذنا العلم، ث: أمين أحمد الشريف، [بيروت، نيويورك: دار اليقظة العربية ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ط 1963م]، ص 25.

13- وبصدد هذا الموضوع يقول المستشرق جوزيف شاخت موضحا جمود الدراسات الإسلامية وخاصة ما يتعلق منها في علم الكلام :منذ أوائل القرن الحادي عشر فصاعدا نلاحظ ذلك الركود العام في الحياة الفكرية للمسلمين وكانت النماذج الكلاسيكية الكبيرة تقلد المرة تلو الأخرى، ولم تكن أحكام القيم السائدة توضع موضع التساؤل وجاءت نقطة تحول أخرى لا بالنسبة إلى علم الكلام فقط ،بل بالنسبة للشريعة الإسلامية والأدب العربي عام 1517م وذلك عند احتلال العثمانيين لمصر ونتج عن ذلك إحياء جديد في هذين المضمارين لكن هذا أيضا انتهى بصورة تدريجية إلى أن حدثت بداية جديدة في الأدب العربي خلال القرن الماضي وفي الشريعة الإسلامية عن طريق التشريع الحديث منذ العقد الثاني من القرن الحالي فصاعدا على أن هذه التطورات تقع خارج نطاق هذا المؤلف ،ولم يتناول هذا الإحياء علم الكلام الإسلامي حتى الآن . انظر جوزيف شاخت، تراث الإسلام [الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عدد: 333- 1998م]، 1،29.

14- الإيجي عضد الدين، المواقف في علم الكلام، [بيروت، عالم الكتب، دت]، ص 7.

15- ينظر: أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب، [بيروت، دار صادر، ط1، 1995م]، ج1، 372.

16- حصر الفاروقي مضامين الفكر والحياة في ثلاثة عشر مضمونا ،من جملتها التوحيد وعلاقته بمبدأ التاريخ ومبدأ الأخلاق ومبدأ النظام الاجتماعي ومبدأ الأسرة ومبدأ النظام السياسي ومبدأ النظام الاقتصادي ومبدأ النظام الجمالي ومبدأ النظام العالمي. - ينظر: الفاروقي، التوحيد، ترجمة السيد عمر، ص 3 .

17- المصدر نفسه، ص 33.

18- المصدر السابق، ص 158.

19- المصدر نفسه، ص 159.

20- المصدر نفسه، ص 40.

21- أرنولد أنطوان وآخرون، المنطق أو فن توجيه الفكر، ترجمة عبد القادر قنيني، [الدار البيضاء –بيروت: المركز الثقافي العربي، ط 2007م]، ص 9.

22- عيسى ربيح جوابرة، مقال التطور الفكري العقدي الإسلامي المعاصر، إسماعيل الفاروقي نموذجا، مصدر سابق، ص 5-6.

23- الفاروقي، التوحيد، مصدر سابق، ص 119، باختصار .

24- الدجماطيقية القديمة: "كل فلسفة تقرر بعض الحقائق، وتتعارض بذلك مع الريبية " ينظر: لالاند أندريه، الموسوعة الفلسفية ثرجمة: خليل أحمد خليل، [بيروت، باريس، مكتبة عويدات، ط2 ،2001م]،ج1،ص 296.

25- بارودي، المشكلة الأخلاقية والفكر المعاصر، دط ، ص 3.

26- ينظر: الفاروقي، التوحيد، ص 262.

27- اقتبس الفاروقي هذه العبارة من أحد كتب إقبال ، ينظر المصدر السابق، ص 259.

28- سورة الصف، 2-3.

29- سورة الصف، الآية 30 .

30- رواه الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله، المستدرك على الصحيحين، ت. مصطفى عبد القادر عطا،[بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1990م]، ج 4، ص 349.

31- عيسى ربيح جوابرة، التطور الفكري العقدي الإسلامي المعاصر إسماعيل الفاروقي نموذجا ، مصدر سابق، ص8.

32- الفاروقي، التوحيد، مصدر سابق، ص 34.

33- سورة يس، الآية 82.

34- سورة البقرة، الآية 117.

35- المصدر السابق، ص 106.

36- المصدر السابق، ص 215.

37- المصدر السابق، ص110.